البحث اللساني

أسئلة التأسيس ورهانات التجديد

أعمال مؤتمر دولي مهداة إلى الأستاذ الدكتور

مبارك حنون

إعداد وتنسيق:

د. محمد العلْوي ـ د. عبد النبي سفير

الكتاب: **البحث اللساني**: أسئلة التأسيس ورهانات التجديد- أشغال مؤتمر دولي
إعداد وتنسيق: د. محمد العلْوي- د. عبد النبي سفير
الطبعة الأولى: 2024
الإيداع القانوني: 2024MO5506
ردمك: 4 -96 -511 -9920 -978
عدد الصفحات: 952
حجم الكتاب: 17/24 سنتيم
مطبعة وراقة بلال فاس / المغرب
الهاتف / الفاكس: 0535618603
العنوان: رقم 204 شارع المدينة المنورة، حي الأمل النرجس – فاس

©جميع الحقوق محفوظة

الفهرس

كلمة السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله الدكتور المصطفى إجاعلي 9

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس الدكتور محمد مبتسم 11

كلمة رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها ومنسق اللجنة المنظمة الدكتور محمد العلْوي..... 13

كلمة مدير مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية الدكتور عبد الحي الورياكلي القرشي 17

السيرة العلمية للأستاذ الدكتور مبارك حنون 19

الدكتور مبارك حنون: مسار بحث في اللسانيات 23

المحور الأول: قضايا اللسانيات العامة 35

موضوع اللسانيات عند سوسير: حفر في الخلفيات المعرفية والدلالات المنهجية

د. مصطفى غلفان..... 37

دور اللسانيات العامة في تطوير اللسانيات المتخصصة

د. عبد العزيز العماري..... 63

اللسانيات بين القبول والرفض في الدرس الجامعي: نموذج فاس

د. نور الدين رايص 85

المعرفة العلمية في اللسانيات، طبيعتها ورهان الاستثمار فيها

د. محمد الهاشِمي..... 104

المحور الثاني: الدرس الصواتي عند الدكتور مبارك حنون 121

القراءة اللسانية للنص اللغوي القديم دراسة في اجتهادات مبارك حنون الصواتية

د. محمد الفتحي..... 123

جهود الدكتور مبارك حنون في توطين المصطلح الصوتي الحديث: قضايا وإشكالات

د. محمد العلْوي 140

نحو قدرة إيقاعية للغة العربية: تأملات في أعمال الدكتور مبارك حنون

د. عبد النبي سفير..... 153

نظرية الصواتة عند الدكتور مبارك حنون

د. مرتضى فرح علي وداعة..... 166

قضايا صواتية في مؤلفات الدكتور مبارك حنون

دة. أسماء كيننى 183

صواتة الوقف عند مبارك حنون

د. عبد الكريم الدخيسي..... 202

قراءة في كتاب: "في الصواتة البصرية: من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب" لمؤلفه الدكتور مبارك حنون

الباحثة: صفاء كروم 223

المحور الثالث: مقاربات صواتية..... 237

التّعليل الفونولوجيّ لبعض أنواع التّنوين في العربيّة المعياريّة

دة. نادرة بنسلامة..... 239

من ملامح التفكير الصوتي العربي في المدرسة الفلسفية

د. أحمد البايبي 271

موقع الحركة في النسق الصواتي العربي بين الكلي والخاص

د. رفيق البوحسيني 289

التوافق الحنجري: تفاضل الأوجه التخصيصية للجهر والهمس في العربية

د. عبد المجيد الزهير..... 311

الصوامت في النظام الصوتي الحساني

دة. فاطمة بولحوش 334

المد الصوتي بين علم الموسيقى والصواتة التوليدية

الباحث: حميد جوهري 354

رموز الضبط الصوتي للمصحف عند المغاربة: دراسة وصفية تحليلية لنماذج

الباحثة: سلمى اشحشاح..... 367

المحور الرابع: قضايا صرف صواتية..... 387

فرضية بديلة لتشكيل الصيغ الفعلية في اللسان العربي: من المقطع إلى الهيكل

د. محمد التاقي..... 389

الكلمة: مسارات تطور المفهوم في ضوء معجم الدوحة التاريخي للغة العربية

د. عبد المنعم حرفان..... 420

البناء الصرفي للجذور في المعجم العربي: من الانشطار إلى التوليد

د. معتصم الكرطوطي - د. عبد الإله جبور..... 442

الأفعال الثنائية المكررة في العربية: دراسة معجمية

د. رشيد بن زگو 456

مؤامرة حذف العلل بين المصوتات: مقاربة أمثلية

د. مصطفى كنبدار 483

من الأثل إلى الجذر: بحث في الآليّات الصواتيّة والصرافيّة

الباحثة: اسمهان علوي إسماعيلي 494

المحور الخامس: الأبعاد الوجائهية للدرس اللساني..... 515

الالتباس التّركيبي: من النّظام الحوسبي إلى أنظمة الإنجاز

دة. سميّة المكّي 517

دراسة المعنى عند العرب: من الدلالي إلى التداولي

د. الحسن الهلالي 540

القيود التركيبية والمكونات المقطعية وتفاعل الصواتة والتركيب

د. عبدالإلاه مرابطي..... 564

الحصر في الظواهر التطريزية: مقاربة أمثلية للوقف في أعمال الدكتور مبارك حنون

الباحثة: كريمة الفيلالي 583

المحور السادس: اللسانيات التطبيقية: قضايا ونماذج 597

الأستاذ مبارك حنون وجهوده في اللسانيات الاجتماعية

د. إدريس مقبول 599

حفريات في المسألة اللغوية والمتغيرات السوسيولسانية: اللحن أنموذجا

د. حسان بوكيلي..... 619

اللسانيات التربوية وقضايا تعليم اللغة العربية عند مبارك حنون

د. أحمد الصمدي 638

التنمية اللغوية والتنمية الاقتصادية في السياق المغربي

د. إدريس شريفي علوي..... 655

المحور السابع: قضايا نحوية ومصطلحية..... 675

التعدد المصطلحي، المصطلح الإداري نموذجًا

د. عمرو مدكور 677

الجزاء والخروج من البنية الأصلية إلى غيرها ومسوغاته

د. عبد الرحمان يجيوي 697

التَّوجيهُ النَّحْوِيُّ للوقْفِ اللازِمِ في القُرآن الكَريمِ تَفسِير البَحْرِ المحِيطِ لأَبي حِيَّانٍ الأَنْدَلُسِيِّ أنموذجا

د. حسن عماري 717

المصطلح اللساني عند مبارك حنون: إبداع لساني وتأصيل تراثي

د. علاء الشاطر..... 739

الشرح ودوره في تبسيط المنظومات النحويّة: "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" أنموذجا

الباحث: جوهر بودرة 757

المحور الثامن: الدرس السيميائي عند الدكتور مبارك حنون..... 775

الأستاذ الدكتور مبارك حنون باحث بأصوات متعددة

د. محمد عفط 777

السميولسانيات وطبيعة السؤال المعرفي

د. عبد السلام إسماعيلي علوي 790

معالم البحث السميائي بالمغرب: أبحاث مبارك حنون نموذجا

د. عبد الله بريمي 803

عملية إنتاج الدلالة والفهم في سيميائيات شارل سندرس بورس

د. عبد القادر محمدي 818

قراءة في كتاب: "في السيميائيات العربية القديمة: دراسة في نصوص قديمة" للدكتور مبارك حنون

د. مصطفى حفَّاظ.....838

وضعية المفاهيم السيميولوجية في الحقل الأكاديمي المغربي بين الترجمة والتأويل

د. رشيد العرجيوي 857

تحليل الخطاب بين مركزية اللساني ورحابة السيميائي

الباحث: فؤاد هنو 869

تحليل الخطاب بين مركزية اللساني ورحابة السيميائي

الباحث: فؤاد هنو*

مقدمة

منذ زمن بعيد ميز النقد القديم بين اللفظ والمعنى، واحتد النقاش أحيانا بين منتصر لأهمية المعنى والقصد ومعتبر أن الأولوية للعبارة. عاد هذا النقاش في مراحل وأشكال مختلفة، وانتظم عادة في ثنائيات مثل: البنية/الطبيعة، الجوهر/ الشكل، المحتوى/ التعبير، وغيرها من الثنائيات التي تعكس اختلافا في المنطلقات والمناهج والمقاربات أيضا. الدرس اللساني نفسه لم يسلم من هذا النقاش وإن بصيغ أخرى، وهكذا انحازت مدارس لمرجعية البنية، ودللت أخرى على سمو الوظيفة. هذه النقاشات ترتبط بأسس نظرية نجد جزءا كبيرا منها في تراكم فلسفة اللغة، رغم أن هذه الاختلافات أخذت ومازالت تأخذ أحيانا طابعا حادا، وكأن الأمر يتعلق بمعسكرات أيديولوجية، فقد ساهمت هذه النقاشات والبحوث التأسيسية في إغناء المباحث، وقلصت المسافات بينها دون إلغاء الخصوصيات، خاصة مع انفتاح المباحث والتخصصات على بعضها البعض، واقتناع الجميع بأهمية تكاملها، وميلاد مباحث تجمع بين تخصصين أو أكثر، وكانت النتائج مبهرة وواعدة في فتح آفاق أوسع في البحث والمعرفة خصوصا ما تعلق بالفهم والتفسير. ولعل ظهور السيميولسانيات، باعتبارها دمجا للساني بمستوياته والسيميائي بأطره النظرية وتقاليده البحثية، دليل على هذا النزوع الواعي نحو تقليص الحدود بين المباحث والمقاربات في أفق تكاملها توقا لتحقيق السجل الموسوعي بتعبير أمبرطو إيكو.

باطريك شارودو Patrick Charaudeau [1] باعتباره أحد المؤسسين لمركز تحليل الخطابCAD [2] بباريس، وأحد المراهنين على إدماج اللساني والسيميائي، يربط ذلك بإشكالية لها ثلاثة أبعاد أساسية، وهي البعد المعرفي في العلاقة بتصورنا للعالم، ويتضمن

* - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

[1] هو أحد اللسانيين المعاصرين مختص في تحليل الخطاب، من آخر أعماله " اللغة ليست ذكورية" 2021.

[2] هو مركز لتحليل الخطاب تابع لجامعة باريس 13، يشتغل من داخله مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم باطريك شارودو.

مجموع المقتضيات والذهنيات السابقة على الخطاب من تصورات وايديولوجيات، وأحيانا تمثلات أو أحكام قبلية وربما جاهزة، والبعد الاجتماعي والنفسي- الاجتماعي المرتبطين بالسياق الاجتماعي وطبيعة المجتمع من حيث عناصره الديمغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وأثر ذلك على إنتاج وتلقي وترويج الخطابات من جهة، ومن جهة أخرى كينونة وخصوصية منتج الخطاب ومتلقيه، وكذا طبيعة وأهداف الوسيط أو الوسائط التي تقوم بالترويج تروج هذا الخطاب أو ذاك، وحجم وطبيعة الوسائل التي تم استثمارها من أجل ذلك، وأخيرا البعد السيميائي بمعناه العام، أي مجموع المشاكل التي تطرح في علاقة بناء المعنى ببناء الأشكال [1].

تحيلنا العودة إلى إشكالية بناء المعنى وهندسة بناء الأشكال على عدة أسئلة مرتبطة بآليات ووسائل وتقنيات بناء المعنى، وهي الأخرى مرتبطة بشروط عامة تؤطرها ظروف وسياقات إنتاج المعنى. فمنتج الخطاب يعبر عن حاجة لإبلاغ قصد ما تؤطره قيم معينة تنتظم في إطار رؤية هي رؤيته، وهو عندما يتوسل إلى ذلك باعتماد خطاب أو شكل تعبيري بالمعنى السيميائي للعلامة فهو يعيد تقطيع العالم وفق رؤيته لتحقيق انسجام يقوي صلابة بنائه وبلاغة إقناعه. واختيار شكل دون آخر هو بالإضافة إلى كونه اختيارا وانحيازا لرؤية من خلال منهج معين وممارسات منتقاة، فهو يراهن على متلق في سياق تؤطره عناصر متغيرة مثل الزمان والمكان والوضعية وغيرها. هذه العناصر، في نسبية حضورها أو غيابها باستحضار أشكال الحضور وطبيعته بين الصريح والضمني باستعارة ثنائيتي رولان بارط وكذا مفهومي القول وعدم القول عند أوزوولد ديكرو Oswald Ducrot[2]، تفسر نسبيا التفاوت في الفهم والتأويل في مستوى أعلى في علاقة ذلك بجهاز مفاهيمي بتصور خاص للتداوليات يسميه أوزوولد ديكرو نفسه بالتداوليات المدمجة. وقد اعتمد في تفسير ذلك على جهاز مفاهيمي أساسي ومركزي في تحليل الخطاب مثل: الضمني، والمقتضى، وما في القول، وغيرها من المفاهيم التي استثمرها في وضع ما سماه بقوانين الخطاب، وهو في هذا السياق يقول: " نحن عادة ما نحتاج لأن نقول بعض الأشياء بما

[1] Patrick Charaudeau, une analyse sémiolinguistique du discours revue Langages n° 117, Larousse, Paris, mars, 1995

[2] انظر أوزوولد ديكرو، Dire et ne pas dire, Hermann, 1972.

يسمح لنا بأن نرفض تحمل مسؤولية ذلك"[1]. الفهم والتأويل اللذان يغلبان هذا السيناريو أو ذاك مرتبطان بشروط أفعال الكلام باعتماد مفاهيم أوزوولد ديكرو: " بعض أفعال الكلام [...] يمكن تأويلها باعتبارها تهدف إلى إقناعنا بإمكانيتها الخاصة، وما تسعى هذه الأفعال إلى تضمينه لدى المخاطب هو أن كل الشروط مجتمعة لجعلها هي أيضا شرعية وقابلة للتفسير"[2]. يؤكد أوزوولد ديكرو انفتاح الملفوظ على تأويلات مختلفة اختلاف منتج الخطاب ومتلقيه ومجموع شروط الانتاج والتلقي قائلا: " الملفوظ الواحد يمكن أن يؤول بطرق مختلفة وقابلة للتفسير أيضا، وليس من دور اللساني أن يختار من بين هذه التأويلات؛ بل عليه أن يفسر بإحالتها على مختلف الصور التي يمكن للمؤول أن يشكلها عن وضعية الخطاب"[3].

لا شك أن الدرس اللساني كان المركز والأرضية الصلبة لتطور العلوم الانسانية عموما واللسانيات والعلوم ذات العلاقة على وجه الخصوص، لكن إفادة فلسفة اللغة ودورها الأساسي في فتح آفاق إبستيمية جديدة عجل بتطور التداوليات والسيمائيات؛ لنكتشف أن الرابط كان هينا، وكان من الضروري والتاريخي أن يتم ذلك على مراحل، تماما كما كان من الضروري والتاريخي أن يبدأ سوسير بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها؛ ليتسنى له ولمن لحقوه أن يفهموا ويحددوا موضوع ووظيفة هذه المباحث الجديدة تسمية الغارقة في الوجود بالمعنى الفلسفي والمعرفي. ما كنا نحتاجه هو حفريات للمعرفة بالمعنى العام، كي نصبح قادرين على رؤية الأشياء رؤية قادرة على التفكيك وإعادة التركيب بما يضمن الإقرار بأصالة الأشياء وحداثتها في نفس الوقت؛ أصالتها تستمدها في علاقتها بعلوم ومباحث مختلفة يجمعها السجل الموسوعي، وحداثتها تؤكدها من خلال ما تتيحه من إمكانات للفهم والتفسير في مستوى أول، وما تراكمه من مفاهيم ونظريات قادرة على تأطير الأفعال والممارسات.

الزواج الشرعي بين اللسانيات والسيميائيات الذي يكاد يكون كاثوليكيا، يندرج في هذا السياق، ونفسره إبستيميا ضمن هذا الأفق والتصور. وبعيدا عن هيمنة الدرس

[1] Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann, 1972, p5.

[2] Ibid, p 8.

[3] Oswald Ducrot, les lois de discours, langue française, 1979, 42, p 24.

النظري اللساني على أهميته، وقريبا من حياة اللغة والعلامة عموما سواء كانت لسانية أو غير لفظية كالرسالة البصرية عند أمبرطو إيكوUmberto Eco[1]، أو العلامة البصرية بتعبير مجموعة μ[2]، أسوّغُ توصيف العلاقة بالزواج الكاثوليكي بارتباط تاريخي ودائم بل أبدي ارتباطا بالأبعاد السالفة الذكر وكون العلامة هي الموضوع الأساس للعلمين، وهو سبب كاف لتفسير هذا الارتباط.

إن الانتقال من الحديث عن العلامة اللسانية إلى الحديث عن الرسالة البصرية ثم العلامة البصرية دليل على أن العلامة أكثر تركيبا وتعقيدا من أن يحيط بها السجل اللساني، مما تطلب تدخل نظريات ومقاربات جديدة تبحث في تجليات المعنى في مختلف تعبيراته وأشكاله. والحديث عن البعد البصري بقدر اعتماده على الحواس، إحدى وسائلنا لإدراك العالم والتفاعل معه، مرتبط بتحول عنوانه الثورة التكنولوجية والرقمية والحجم الذي أصبحت تحتله الصورة في الحياة اليومية في المدرسة والإعلام والاقتصاد والسياسة والثقافة.

في زمن ما بعد الحداثة وما بعد العولمة حيث سيادة الوسائط التكنولوجية والممارسات الرقمية التي غيرت تمثلاتنا وزعزعت الكثير من التصورات التي كادت تكون بديهيات، أصبحت الحاجة أكثر من أي وقت مضى لإعادة تحديد مفهوم الثقافة بما يدمج كل هذه التحولات، ويسعفنا في فك سننها، وإعادة تشكيل المعنى هنا والآن وإلا سقطنا في منطق اليقينيات، أو أصبحنا عرضة لاستهلاك نماذج دون أن نفهم ونعي سياق وأهداف إنتاجها فنصبح مجرد مستهلكين ومرددين لتمثلات وتصورات قد تكون حمالة لدعاية مغرضة بقصدية التحكم وصناعة الرأي. لم تعد اللغة بشكليها التلفّظي والخطي هما الوسيطان المهيمنان في الخطاب؛ بل ساهمت التحولات الاجتماعية وفي قلبها الثورة التكنولوجية وبعدها الرقمي في ظهور محتويات وأشكال تعبيرية جديدة، قد نجد للبعض منها جذورا في التراكم الثقافي للإنسانية في تفاعل مع الطبيعة وديناميات تطور المجتمعات، لكن شكل ومحتوى هذه الخطابات يحمل من العناصر الجديدة ما يدعونا إلى توسيع أفق قراءتنا بحيث تستوعب هذه النصوص والخطابات التي أصبحت تأوي أجناسا مختلفة

[1] Eco Umberto, Sémiologie des messages visuels. In communication 15, 1970, l'analyse des images.

[2] Groupe μ, traité du signe visuel, pour une rhétorique de l'image, 1992, Seuil, Paris.

الطبيعة والنشأة. لقد أصبحت الكثير من النصوص والخطابات هجينة، ما يجعل العودة للسجل الموسوعي بتعبير أمبرطو إيكو، والبلاغة العامة باستعارة مفاهيم مجموعة µ، حاجة وراهنية، وإذا استحضرنا النموذج التأويلي في السيميائيات فنحن نحتاج إلى نظرية عامة للعلامات عابرة للمجالات والتخصصات. ولعل التوجه المتسارع نحو تكامل التخصصات Interdisciplinaire هو تعبير عن هذه الحاجة التي أصبحت أمرا واقعا وممارسة بحثية واعدة قلصت بشكل كبير من سلطة التخصص وأصالة المنهج. ودفاعا عن هذا التوجه، وردا على من يعتبر ذلك هروبا من تقييم مدى الامتثال لنظرية بعينها ومنهج بعينه، نقول: إن مراحل الازدهار الفلسفي والعلمي كانت مع ممارسات كان مسعاها يتجاوز حدود المبحث والتخصص؛ بل أولى أن أستدل من داخل الدرسين اللساني والسيميائي، فلولا نزوع باحثين نحو تكامل التخصصات لما تطور الدرسان وعرفا ميلاد ممارسات وتخصصات جديدة كاللسانيات الاجتماعية والنفسية والتطبيقية عموما، والسيمائيات التطبيقية والسيميوتداوليات التي أفردت للمتلقي عموما وللجمهور في حالة الفيلم السينمائي مع روجي أودان Roger Odin وضعا خاصا، حيث يصبح الجمهور منتجا للمعنى[1].

هذه الأدبيات وغيرها جعلت كمال عبد اللطيف يشتغل بمتون متضمنة لبلاغة مرتبطة بالجمهور كما هو الحال مع مختلف التعبيرات اللغوية والبصرية والموسيقية والتشكيلية التي واكبت الربيع العربي[2]، خاصة بساحة التحرير بمصر والتي أصبحت محط اهتمام الرأي العام العربي والغربي على السواء، مع ما واكب ذلك من تعبيرات ومحتويات تم تداولها في التواصل الاجتماعي. لم يعد إنتاج البلاغة حكرا على النخبة؛ بل تمت دمقرطة إنتاجها والوصول إليها، وقد بدأ مع الثورة التكنولوجية وتحرير مجال التواصل وتعدديته رغم كل محاولات التحكم والمراقبة، ويعود أرنو ميرسيي Arnaud Mercier لتأكيد وتفسير هذا التحول قائلا: " المجيء المكثف لقنوات الأخبار المتواصلة ومواقع الأخبار والشبكات الاجتماعية الرقمية للتعليق المباشر والدائم على الأخبار

[1] Odin Roger. La question du public. Approche sémio- pragmatique. In: Réseaux, volume 18, n°99, 2000. Cinéma et réception.53.

[2] عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، الطبعة الأولى، بيروت 2013.

المستجدة مما ينتج عنه تسريعا جديدا للزمنية السياسية، زمنية الاستعجال الدائم. نتفاعل بسرعة وفي آنه دون أخذ مسافة، وعادة ما يتم الأمر دون تمييز، حيث تغلب العاطفة "[1]، والخطاب عادة عندما تهيمن عليه العاطفة على مستوى شروط الانتاج، وكذا سياق التلقي، وعندما نتوسل بوسائط تكثف هذه الأحاسيس، يجعلنا مهيئين لبلع المغالطات واستساغتها، وقد نصير رجع صدى هذه المغالطات دون العودة إلى أصولها قصد التمييز بين السبب والعرض، والربط بين السبب والنتيجة، وتفكيك وعقلنة الطريقة والأداة سواء كانت لفظية أو غير لفظية (سمعية أو بصرية...).

1- أولوية ومركزية اللساني

أثبت الدرس اللساني علميته باعتباره علما إنسانيا من حيث الموضوع والمنهج مع مجيء اللسانيات البنيوية ورائدها اللساني السويسري فردناند دو سوسير Ferdinand De Saussure، وفي أسباب البداية باللغة واعتبارها مركزية، وتأجيل التقعيد للعلم الجديد الذي هو السيميولوجيا، يقول مؤسسها حسب التقليد الأوروبي: "... إننا ندور في حلقة مفرغة، فمن جهة ليس هناك ما هو أكثر أصالة من اللغة لإفهامنا طبيعة المشكل السيميولوجي، ولكن لطرحه بشكل ملائم يجب دراسة اللغة في ذاتها، بينما- ولحد الآن- نكاد نكون قد تطرقنا إليها في العلاقة بشيء آخر وبوجهات نظر أخرى"[2].

أسبقية دراسة اللغة في ذاتها ضرورة تاريخية؛ بل إبستيمية، للقطع أو على الأقل تجاوز ممارسات بحثية كانت تلحق اللغة بمباحث ومجالات أخرى كالدين والتاريخ وغيرهما، وأحيانا يتم إسقاط منطق اشتغال هذه المجالات بخصوصياتها وإشكالاتها على مجال وموضوع ذو طبيعة خاصة. تعدد اللغات واختلاف أنساقها سبب كاف لرد استمرار قبول اعتبار الخارج لساني هو الحاسم في فهم وتفسير طبيعة ووظائف اللغة، وهذا ما تأكد بفضل دراسات تخلصت من العائق الإبستيمي بالمعنى البشلاري والذي لم يكن معرفيا فحسب؛ بل كان وظيفيا أيضا؛ لأنه كان يحد من الحرية والموضوعية للنظر في

[1] Dominique Wolton In.Arnaud Mercier, La communication politique entre nécessité, instrumentalisation et crises, collection, collection « Les essentiels d'Hermès » CNRS édition, Paris 2017. P15.

[2] Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, Payot 1971.P34.

ظاهرة اجتماعية ذات طبيعة معقدة باعتبارها شكلا تجريديا راقيا حاضنا لمجموع الممارسات الثقافية والاجتماعية لمجتمع في تغير مضطرد.

وهذا ما يفسر أيضا عملية التطور والتغيير من داخل اللغة نفسها وهي تنشأ وتنمو وتتطور وتختفي أو تتوارى أحيانا في ثنائية الميلاد والحياة التي تحكم تاريخ اللغات. وهذا أيضا ما يفسر الحديث عن اللغات الحية واللغات الميتة، فحياة اللغة مرتبط بمدى تعبيرها عن الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وموتها أو على الأقل تواريها مرتبط بحجم انفصالها عن قضايا الفكر والمجتمع، وعدم قدرتها على مواكبة التطورات والتحولات بالإغناء أحيانا وبالاقتصاد أخرى. ولعل حركية وانتظام مراجعة وتعديل المعاجم لدى اللغات الأكثر استعمالا في العالم، ليس بالمعنى الكمي ولكن في ارتباط ذلك بالاقتصاد والسياسة وأثر ذلك على الثقافة، دليل على ما ذهبنا إليه.

بالعودة إلى المنجز اللساني مع سوسير الذي، بالإضافة إلى إرسائه مبادئ لسانيات عامة قائمة على كليات تشترك فيها اللغات، أصل وأسس لوضع علمي للدراسات اللسانية لتلتحق اللسانيات بنادي العلوم الإنسانية بامتياز؛ بل صارت أقرب منهم إلى العلمية. يطول الحديث في عرض نظرية سوسير في اللسانيات العامة، فهي رغم موت الرجل منذ زمن غير قصير مازالت موضوع دراسات وإعادة قراءة[1]، ومازالت مفاهيم سوسير ذات راهنية وتداولية رغم حديث الكثير عن قصد أو دونه عن موت البنيوية، فأي درس لساني حديث يسلم من سلطة مفاهيم مركزية مثل العلامة والدال والمدلول والصورة السمعية والمفهوم الذهني ومحور الاستبدال ومحور التوزيع .... إلخ.

إن انحياز البنيويين، وعلى رأسهم مؤسس البنيوية فرديناند دو سوسير، مرتبط بسياق علمي عام وخصوصا في البيولوجيا مع جون بياجي وغيره، فهذا الأخير يعتبر "البيولوجيا مفتاح البنيوية "[2]. وعموما لا يمكن أن نختزل البنيوية في بضع مفاهيم؛ بل حتى إذا ما قمنا بعرض جميع المفاهيم الواردة عند سوسير، فإننا نظل نقرأ مشروعا بصم ميلاد علم جديد شكل قطيعة مع الدراسات السابقة بالمعنى الإبستيمي، وسمح بالانتقال

[1] Lire aujourd'hui cours de linguistique générale de Saussure, textes présentés par Carl Sanders, éd Hachette, pp 79,77.

[2] محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، 1990.

من الدراسات اللغوية إلى اللسانيات باعتبارها علما مستقلا موضوعه اللغة، ومنهجه هو المنهج البنيوي مع سوسير وغيره من البنيويين، ثم تواترت المناهج حسب السياقات الفكرية والفلسفية والتقاليد المعرفية والأكاديمية.

اعتبر سوسير اللغة أرقى نسق دال لكونه يتوفر على كليات تجمع اللغات الطبيعية مع التحفظ الذي سجله على صفة الطبيعية، فاللغة علامات وعلاقات يجب فك تشفيرها ودراستها اعتمادا على جهاز مفاهيمي يمتح من البنيوية كمذهب فلسفي طال مجالات مختلفة من علوم وعلى رأسها البيولوجيا وعلم النفس التربوي (جان بياجي..) والتحليل النفسي (فرويد، لاكان، ...) والفلسفة (فوكو، نيتشه، ديريدا، ...) والأنثروبولوجيا (ليفي ستراوس، ...)، لكنه أصل لفرادة الدرس اللساني بمفاهيم محايثة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الدال، المدلول، العلامة، الاعتباطية، الصورة السمعية، المفهوم، الخطية، المحور المركبي، المحور الاستبدالي، اللغة، اللسان، الكلام، الكيان النفسي ... وغيرها من المفاهيم التي مازالت موضوع استعمال، ومنها ما تم تطويره بالحصر أو التوسيع. وبصدد المكانة الخاصة التي تحتلها اللغة يقول سوسير: "اللغة نسق من العلامات تعبر عن أفكار، وانطلاقا من ذلك فهي فقط أهم الأنساق مقارنة بالكتابة، ولغة الصم البكم، والطقوس الرمزية، وأشكال الاحترام، والرموز العسكرية ... إلخ[1].

2- السيميولوجيا والتقليد الأوربي: بين استمرارية النموذج اللساني والتأصيل لنماذج سيميائية

ربما كانت الأهمية التي أفردها سوسير للغة، والإفراط في مركزتها، سببا في تأخر الدرس السيميولوجي، حيث كان من الضروري أن يراكم إنجازات نظرية وتطبيقية كي يفرض العلامة غير اللسانية في حقل السيميولوجيا الرحب. ذلك أن الكثير من الدارسين ظلوا ممانعين، وحتى يوم قبلوا ذلك فعلوه بتحفظ، واعتبروا أنه من اللازم أن تخضع العلامة غير اللسانية لنفس التقطيع والدراسة[2].

يتوفر سوسير، نظرا لدوره التاريخي، وأولوية مشروعه في التأسيس لعلم جديد، على موضوع ومنهج من أجل العمل في حقل كان يعرف أنه قيد التشكل، خاضه برؤية الباحث

[1] Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, Payot 1971, p 33.

[2] Eco Umberto. In: Communications, 15, 1970. L'analyse des images. P45.

المتبصر، ولكن تواضع الكبار جعله يتكلم بصيغة التنبؤ قائلا: "يمكن إذن أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، وسيشكل جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام، سنسميه سيميولوجيا (عن الكلمة الإغريقية "سيميون " أي" علامة ") ستعلمنا بماذا تتعلق العلامات، وما هي القوانين التي تنظمها. ومادامت لا توجد بعد، لا يمكننا أن نقول ماذا يمكن أن تكون، لكن من حقها الوجود، ومكانها محدد مسبقا. اللسانيات ليست إلا قسما من هذا العلم العام، والقوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق على اللسانيات، وهكذا ستجد هذه الأخيرة نفسها مرتبطة بمجال جد محدد في مجموع الأفعال الإنسانية"[1].

لماذا كان سوسير مقلا في حديثة عن السيميولوجيا؟ هل يمكن لنا أن نتصور أنه كان يجهل ذلك؟ والحال أنه احتفى مسبقا بهذا المولود المنتظر؛ بل سماه وفعلا حمل الاسم نفسه، الرجل حدد المعرفة التي سيعلمنا إياها؛ بل حدد علاقته باللغة وبباقي العلوم وعلى رأسها علم النفس. هذه كلها قرائن تحملني لافتراض انخراط سوسير مع زمرة من البنيويين- لنسميه تواطؤا إيجابيا- في مشروع كبير عنوانه الزحف البنيوي .

السيميولوجيا حسب التقليد الأوروبي، ورغم تأكيدها مرجعية النموذج اللساني، اعتبرت المعنى يتجاوز اللساني، فرغم مركزية اللساني، ورغم تأكيد الكثير من الباحثين من مختلف المشارب الفكرية على كون اللغة من أرقى الأنساق الثقافية، فهي وحدها لم تعد كافية لفهم جميع الأنساق الثقافية والأشكال التعبيرية، كما لم يعد ممكنا نقل واسقاط النموذج اللساني على جميع الظواهر والممارسات.

إن التراكم السيميولوجي الأوروبي، على غزارته واختلاف منطلقات الباحثين وتجاربهم، طغت عليه أربع مدارس؛ أو بالأحرى أربعة اتجاهات أساسية هي: سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، والسيميولوجيا السردية، وسيميولوجيا الثقافة، وذلك دون إلغاء تجارب وإنجازات لها تفردها، مع تسجيل تقاطعات وتمفصلات أحيانا وتباينات واختلافات أحيانا أخرى، كسيميولوجيا الفيلم الذي أصبحت له تسنيناته السردية الخاصة، وأنحاء المونتاج، وجهازا بلاغيا. كما ساهمت التكنولوجيا في ظهور نصوص

[1] Ferdinande De Saussure ,p 33 .

هجينة، حيث تتجاور فيها أشكال تعبيرية مختلفة من حرف وخط وصورة يسميها فرانسيس إدلين Francis Edeline الأنساق البيسيميائية Systèmes intersémiotiques[1].

لقد تم بناء التقليد السيميولوجي الأوروبي على تنبؤ، أو مشروع، رسم ملامحه الأولى السويسري فرديناند دوسوسير، لتتوالى الإنجازات والإضافات في تفاعل وتكامل لا ينفي التفاوت في التصورات والجهاز المفاهيمي، لكن الحاصل أن جلهم بنيويو المذهب والمنهج وأوروبيو الانتماء، ولأن الثقافة حاسمة في تسميتنا للأشياء، وتأويلنا للعلامات والخطابات كما يذهب أمبرطو إيكو وغيره من المنتصرين للسيميائيات الثقافية، فإنهم حافظوا على إثنيتهم في ممارساتهم السيميائية، وإن بتفاوت.

3- انتصار الاتجاه التأويلي في السيميائيات

يجمع الدارسون أن السيميائيات التأويلية في التقليد الأنكلوساكسوني قامت على ما راكمه شارل سندرس بورس Charles Sanders Peirce في تنقله بين مباحث وعلوم مختلفة، وفيما جمع من كتاباته المتناثرة، يقر المختصون في بورس؛ ومن بينهم دولادال الفرنسي؛[220] Gérard Deladalle بصعوبة الولوج إليه من حيث لغته الانجليزية العصية على الفهم والتأويل، ومن حيث ارتباط نظريته بعلوم أخرى، الأمر الذي صعب تبسيط جهازه المفاهيمي، ولعل ما نجده مترجما إلى العربية على قلته دليل على ذلك من حيث التعريفات والإحالات إلى حقول معرفية مختلفة، وخاصة العلوم الحقة والمنطق. وهناك من يجعل نظرية بورس أقرب إلى فلسفة اللغة، فحسب بوفانتيني وكراسي وكرازيا: " سيميائيات بورس هي سيميائيات للمعرفة، بمعنى أن مجموع الاقتراحات النظرية لبورس هدفها بناء غير نفساني للعمليات العقلية أو الذهنية. العلامة باعتبارها دالة من العلاقات الثلاثية مع الموضوع، ومع أساس الدلالة، ومع المؤول، تجعل وصف العمليات المعرفية

[1] Francis Edeline, entre la lettre et l'image, texte réunis par Juliane Difiori Pondian, Académia- l'Harmattan. S.a, Louvain – La – Neuve, 2020, pp 16- 17.

[2] Olivieri Hugo M. Charles Sanders Peirce, Écrits sur le signe, rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle ; Charles Sanders Peirce, Semiotica, a cura di Massimo A. Bonfantini, Letizia Grassi, Roberto Grazia. In: Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, tome 79, n°44, 1981. pp. 576- 579.

ممكنة دون العودة إلى الحدس الديكارتي. يجب إذن، الحذر من بعض التأويلات السلوكية التي قام بها بعض الأمريكيين"[21].

ليست العلامة عند بورس ثلاثية بالمعنى العددي، ولكن بالمعنى العلائقي، يلخص ذلك أغلب الدارسين في الماثول Representamen والموضوع Object والمؤول Interpretant استنادا إلى ما قاله بورس نفسه عن هذه العناصر: "الماثول هو علامة كما تقدم نفسها، والتي يحيلها المؤول إلى الموضوع الذي تمثله "[22]، لكن الذي يجعل الأمر أكثر تعقيدا هو تواتر المراجعات التي كان بورس يقوم بها في العلاقة بالنظرية التي كان يشتغل بها، وهي أقرب إلى الفينومينولوجيا من جهة الفلسفة، وإلى الرياضيات من جهة العلوم الحقة. إن فهم العلامة عنده يقتضي العودة إلى مرتكزاته الرياضية والمنطقية. يعود بورس للحديث عن العلامة من خلال عناصرها تأسيسا على مسلمة معرفية هي أن وسيلتنا في التعامل مع العالم هي العلامات، ووفق هذه الرؤية الفلسفية والمعرفية يصير العالم كله علامات، ويميز في العلاقة بالعناصر الثلاثة للعلامة بين الماثول المرتبط بالإحساس بالشيء، ليس بالمعنى السيكولوجي ولكن بالمعنى الفيزيائي، فنكون أمام ماثول كي ينتقل إلى عالم الوجود يحتاج إلى ثان هو الموضوع، هذا الأخير يرتبط بالأول، ويحتاج إلى ثالث يعطيه معنى هو المؤول. لكن إذا كان رولان بارط يتحدث عن التصريح والتضمين، فإن بورس يتحدث عن سيرورة تأويلية يسميها سيميوزيس Semiosis، وهي في نظره لانهائية، يميز فيها بين المؤول المباشر، والمؤول الديناميكي، والمؤول النهائي الذي لا يعد نهائيا بالمعنى المطلق؛ بل بالمعنى الزمكاني، أي الآن وهنا؛ لأن حاجة المؤول للتثبيت المؤقت تجعله يختار مسارا معينا.

انتصار الاتجاه التأويلي مرتبط بولوجه عوالم مختلفة، وتخلصه المبكر من الهيمنة اللسانية، فبالإضافة إلى ما راكمه هذا الاتجاه، فقد رأينا تأثيره على السيميائيات حسب التقليد الأوربي سواء في بدايات ذلك مع مدرسة باريس، أو السيميوتداوليات مع روجي أودان وأساسا مع مجموعة مو التي كانت من التجارب الأولى التي عبرت عن تمردها المبكر على التحديدات التي كانت سائدة في لحظة معينة من تطور الدرس السيميائي الأوروبي.

سنرى عودة سيادة السيميائيات التأويلية من خلال المقاربة الثقافية التي اعتمدها أمبرطو إيكو الذي رغم انتمائه للتقليد الأوربي سجل تميزه وتفرده حتى إنه يصنف ضمن

السيميائيات النقدية[1]، حيث تعتبر كلوديا ستانكاتي أنه أحدث تجاوزا للنموذجين السوسيري والبورسي لأنه لم يحصر العلامة في التعاقد الاجتماعي باعتباره يدرس جميع ظواهر الثقافة والتجربة الإنسانية لكونها علامات، كما أفرد وضعا خاصا للمتلقي، واستطاع التخلص من السجل الدلالي المعجمي، داعيا إلى اعتماد السجل الموسوعي المنفتح على كل العادات التأويلية لثقافة متشابكة ومتعددة المكونات.

4- السيميائيات بصيغة الجمع ونهاية الوصاية اللسانية

لقد ساهمت الإضافات النظرية والمفاهيم الإجرائية المفسرة والمساعدة على التحليل في فتح آفاق تأويلية وجمالية بلاغية تم استثمارها في الكثير من المجالات وخاصة تحليل الخطاب.

فعلا كانت القراءات والتطبيقات التي قام بها الأنكلوساكسون أمثال شارل موريس وغيره تحولا كبيرا في الدرس السيميائي فتح آفاقا جديدة من خلال ولوج مجالات جديدة خاصة السينما باعتبارها جيلا جديدا من السيميائيات البصرية له منطقه وتسنيناته. وهكذا تواترت الإنجازات والتراكمات من خلال أعمال الفرنسي روجي أودان الذي اشتغل على الصورة الفيلمية وما حققته مجموعة μ التي شكلت قطيعة مع النقاشات التقليدية، وربطت الجسور بين الأنساق الدالة بمختلف تعبيراتها اللسانية والأيقونية والتشكيلية.

قامت المجموعة بعمل تجريدي لتكسير الحدود بين الخطابات دون إلغاء خصوصية كل خطاب، والهدف، أو بالأحرى الأفق الإبستيمي الجديد، هو التنظير لبلاغة عامة، وهذه مشاريع نظرية كبرى تبحث عن المشترك البلاغي السيميائي في الخطابات بغض النظر عن طبيعته وخصوصيته في إطار رؤية متعددة التخصصات والمرجعيات، وهذا ما يفسر الطابع النقدي لدى المجموعة. ولعل العمل ضمن مجموعة من بين أسباب قوة النظرية لما تتيحه من تفاعل ومقابلة بين أطاريح مختلفة. العمل المتفرد الذي قامت به مجموعة μ وتقعيدها لبلاغة عامة جعلت منجزها منفتحا على تنوع وتطور الأنساق وتداخلها أحيانا، وهذا ما أكده مرجع جديد لأحد رواد المجموعة المذكورة وهو فرانسيس إيدلين Francis Edeline الذي أكد هذا المنحى من خلال العلاقة بين الحرف/الخط والصورة في إطار ما

[1] Claudia Stancati, La Vie des idées , 16 décembre 2016. ISSN: 2105- 3030 .

سماه بالأنساق البيسيميائية Intersémiotiques Systèmes [1] مشتغلا على نصوص وصور وأجناس مختلفة، وعلى رأس أهدافه تأكيد فرضية نزوح الحروف والكلمات نحو مظاهر أو خصوصية الصورة والعكس صحيح، أي نزوح الصورة نحو الهوية الخطية الحرفية، وفي ذلك تأكيد "للانسجام بين اللساني والتشكيلي، وقد اشتغل الباحث على الكثير من المتون من الهويتين، فمن الجانب اللساني تم الاشتغال على القصيدة المجسمة Calligramme والحروف التصويرية Alphabet figurée والمونوغرام Monogramme وغيرها، وعن الصورة تم الاشتغال على القصائد السيميائية والماندالا Mandala والوشم وغيرها. كما شكلت بعض أعمال الفنان ماجريت Magritte موضوعا للدراسة باعتبارها اعتمدت الزواج بين التشكيلي واللساني.

حرف مجسم

قصيدة مجسمة

كتابة مجسمة

مونوكرام Monogramme

رسم يجمع بين عدة حروف في علامة واحدة

ماندالا Mandadla

[1] Francis Edeline, entre la lettre et l'image, texte réunis par Juliane Difiori Pondian, Académia- l'Harmattan. S.a, Louvain – La – Neuve, 2020, pp 16- 17.

ارتبطت في بداياتها بممارسات هندية وبودية وهي محاولة تمثيل للعالم بنفس تأملي وروحي. والماندالا في اللغة السنسكريتية تعني الدائرة، وانتقلت فنيا لثقافات أخرى بمحتويات أخرى.

الخميسة باعتماد تقنية أو فن الماندالا.

في بداية دخول رسوم الماندالا إلى الثقافة العربية خاصة لدى الأطفال رافق ذلك نقاش أخلاقي وقيمي مرتبط بأصول التقنية، لكن الإقبال على هذه الرسوم، وحضور ذلك في المجال الفني والعمران والديكور قلص من الجدال حولها، خاصة عندما تبين أن الدائرة مشترك بين عدة ثقافات وحضارات، ويمكن أن نحملها المحتوى الخطابي الذي نريد. ويشبه النقاش والجدال أحيانا في هذا الموضوع النقاش الذي طال في مرحلة معينة حول كل ما هو مجسم وهو مرتبط في نظرنا بطبيعة العلاقة المعقدة والإشكالية بالصورة عموما؛ لأننا مجتمعات قامت أساسا على التقاليد الشفوية أولا، ثم الكتابية في مراحل لاحقة، وعلاقتنا بالصورة رغم حضورها في جميع مناحي حياتنا اليوم مازالت إشكالية، وخاصة بالنسبة للأجيال التي لم تفتح أعينها على الصورة. ولم يكن الأمر سهلا بالنسبة لثقافات أخرى خاصة في العلاقة بفهم معين للدين، لكن التحولات العميقة التي عرفتها الكثير من المجتمعات واكبتها إعادة النظر في الكثير من التمثلات التي كانت أشبه ما تكون باليقينيات التي فرقت المجتمع في مراحل معينة بين مؤيد ومعارض.

نفس النقاش في العلاقة بالقيمي والأخلاقي عاد من خلال زحف الرقمي، وخاصة مع ظهور الذكاء الاصطناعي بكل ما يتيحه من إمكانيات هائلة تستثمر في الكثير من المجالات، وخاصة في المجالين العلمي والتربوي، بحيث تم وضع برامج وخوارزميات في اللغة وغيرها من المواد بحيث أصبح من السهل الولوج لمعاجم إلكترونية، والقيام بعمليات من صلب

التحليل اللساني بجميع مستوياته تفيد المتعلم والمدرس على السواء. وكما سبق تأكيده سابقا، لكل نظرية أو مقاربة أو حتى ممارسة ثقافية حدودها. هذا النقاش الجديد بسياقه وموضوعه أو موضوعاته قديم في بعده الفلسفي، فقد كانت علاقتنا دوما إشكالية بالتقنية وكل الأشياء الجديدة والمستجدة لما تحمله من تغيير يطال ممارساتنا، ويؤثر على رؤيتنا للأشياء والعالم الذي تتحرك فيه. فهذا هيدغر Heidegger[1] يتحدث عن ميتافيزيقا التقنية التي تجد أصولها في الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية، ويحذر من مخاطرها دون أن يدينها. وهذا عبد الكبير الخطيبي يتحدث عن ضرورة النقد المزدوج الذي يجب أن يطال كل متاح بعيدا عن كل هوية عمياء أو نقد متوحش[2].

René Magritte : la trahison des images

خيانة الصور

اللوحتان أعلاه بقدر ما تحتفيان باتجاه فني تشكيلي يندرج في السريالية بما تحمله المدرسة من ثورة على مقاييس الاتجاهات السابقة، فهي شاهدة على تحول فكري وقيمي اخترق العالم خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى، التحول كانت له عدة مظاهر من بينها نسق القيم، ولعل الفن أحد الأشكال الجميلة لتمظهر هذه القيم. تجاور تعبيرات مختلفة الشكل والمحتوى، مختلفة البنية والوظيفة، بقدر ما يدافع عن جمالية جديدة محتاجة لثقافة جديدة، فهي تتصالح مع منطق تكسير الأنساق، وتحتاج إلى نموذج دلالي جديد كما عبر عن ذلك أمبرطو إيكو آن حديثه عن علاقة المتلقي بالأعمال الفنية والحاجة لتسنينات جديدة؛ إذ يورد عدة أمثلة من بينها موقف المتلقي من التشكيل الانطباعي في بداياته حيث لم تتم استساغته، واعتبره البعض غير ذي معنى، والحال أن الأمر يتعلق

[1] Heidegger Martin, « La question de la technique », in Essais et Conférences, TEL- Gallimard, 1954.

[2] عبد الكريم الخطيبي، النقد المزدوج، (بيروت، منشورات الجمل) بيروت 2009، ترجمة أدونيس وآخرون، الطبعة الأولى.

بغياب نموذج دلالي، وبالتالي غياب نموذج للتلقي، وعملية قبول هذا الفن وغيره تتم عبر مأسسة سنن جديد واقتراح تعاقد جديد[1]. هذا العمل وغيره من أعمال الفنان ماكريت تسائل القيم الفكرية والجمالية، وتشهد على تداخل أجناس وتعبيرات تجعل العمل بؤرة لمعان متعددة ومركبة لا يكفي السنن الفني والتقني وحدهما ولا السنن اللغوي بمستوياته الصرف- صواتي والتركيبي والدلالي؛ بل نحتاج لقراءات متعددة تتوسل أدوات مختلفة المرجعيات لعلها تستجلي بعض المعاني التي تظهر وتتوارى حسب سياق التلقي، ورؤية المتلقي، والعلاقة بين العناصر المشكلة للخطاب اللساني منها والأيقوني والتشكيلي، مما يقوي اقتناعنا بملاءمة المقاربة السيميولسانية باعتبارها دامجة ومنفتحة على تطور وتداخل الأجناس والخطابات في زمن أصبحت الهجانة علامة العصر من خلال نصوصه وخطاباته وجميع تعبيراته. والهجانة أصبحت موضوعا أثيرا للكثير من النقاد والدارسين للنصوص الإلكترونية والرقمية بعد التراكم الذي حققته اللسانيات الحاسوبية بداية بمستويات اللغة التي تكثفت من خلال ما يسمى بالصناعة المعجمية، هذا المنجز والمتاح في نفس الوقت فتح آفاقا لإنتاجات نصية ذات طبيعة إلكترونية ورقمية. تطور هذه الممارسات ولد وأنتج مفاهيم جديدة من مثل عقد، روابط، النص المتعالق. هذا الأخير، وخلافا للنصوص الورقية أو ما قبل الرقمية بشكل أعم، أصبح يُؤوي نصوصا وتعبيرات لفظية وغير لفظية تنتظم وفق ترتيب وهندسة مختلفين عن الطبيعة الخطية التتابعية المعهودة، ويعرفه ثيودور هولم نيلسون قائلا: «كتابة غير تتابعية-- نصّا يتشعّب ويعطي القارئ خيارا، وخير مكان لقراءته هو شاشة تفاعلية، وكما هو مألوف لدى العامة، فإنه سلسلة من الكتل النصيّة تربطها حلقات وصل من شأنها أن تمنح القارئ مسارات مختلفة»[2].

وفي مقال لماري آن بافو Marie Anne paveau تحت عنوان " أجناس الخطاب والتكنولوجية الخطابية تخلص لما يلي: " الكتابة الرقمية تملك ملامح خاصة تسلمتها من الجهاز التكنولوجي، لكن هذه الملامح ليست مجرد ملامح إضافية لن يكون لها أثر على اللوجوس Logos ومركزية الكلام المعقلن Egocentrisme، هذه الملامح تغير طبيعة اللغة

[1] Eco Umberto. In: Communications, 15, 1970. L'analyse des images. P. 11.

[2] ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2022، ص269 .

التي تختلط بالتكنولوجيا، وبناء عليه فمستقبلا يجب أن نقر بأن داخل اللغة ليس هناك اللساني فقط. في نظري، الأمر ليس جديدا، لكن العوالم الرقمية جعلته صريحا"[1].

الزحف الرقمي رغم إسهامه في تطور البحث العلمي عموما والسيميائي بوجه خاص، فهو محط نقاش بين داع لركوب بحاره دون ممانعة، ومنتقد له لأسباب قيمية وجمالية، وتواتر إصدار نصوص رقمية بما فيها الأدبية، وتصاعد أصوات تنادي بإعادة النظر في الأجناس ونظرية الأدب عموما، مما جعل الباحث سعيد بنكراد يتحدث عن استحالة هذه الجمالية قائلا: «وهذا مصدر القول باستحالة جماليات رقمية تقدم للعين ما هو أجمل مما يقوله اللفظ. فعلى عكس ما يمكن أن توحي به حالات التداخل الممكنة بين الأنساق، وعلى عكس ما توحي به الروابط التي تدفع النص إلى اقتراح انتقاءات متنوعة استنادا إلى وصف محدود لوضعيات محدودة، فإن مصدر الطاقة الانفعالية في التمثيل اللساني لا يكمن في تقديم معادلات نصية من خلال روابط هي، في نهاية الأمر وبدايته، وثيقة الصلة بقصدية أصلية هي قصدية المؤلف وحدها ولا شيء غيرها، فتلك نسخ محدودة رغم كثرتها وتنوعها، إن مصدرها هو ما لا تقوله هذه القصدية، أي ما ينبع من كل الإحالات غير المتوقعة من منطوق النص أو مفهومه، بل قد يكون ما يأتي به القارئ نقيضا لما توحي به هذه القصدية. إن الأمر يتعلق بلاوعي نصي مودع في ذوات تختلف عن بعضها البعض من حيث درجة الوعي والثقافة، ومن حيث الطاقات الانفعالية التي قد لا ترى من خلال ظاهر العلامة»[2].

رغم اختلاف المرجعيات والأجهزة المفاهيمية ظلت العلامة في سياقها الاجتماعي هي موضوع هذا العلم، وكان لكل اتجاه منجزه النظري والتطبيقي، وتلاشت الصراعات، أو على الأقل تقلص الجدال حول سؤال التسمية، وتقلصت الحدود في القضايا التي يتناولها؛ ليصبح من باب البداهة أن يواكب تطور الحياة الاجتماعية والثقافية للعلامة والمعنى عموما، كما أن الجدال حول علاقة اللساني بالسيميائي والمسكون بسؤال الأسبقية

[1] Marie Anne Paveau, genre de discours et technologie discursive, pratiques: linguistique, littérature, didactique 157- 158/2013. https://doi.org/10.4000/pratiques.3533.

[2] سعيد بنكراد، الأدب الرقمي، جماليات مستحيلة، موقع الباحث، تاريخ الزيارة 2024/07/20 . http://saidbengrad.free.fr/ar/numerique.htm

والتأسيس ما عاد أولوية الدارسين في زمن عنوانه معرفي مع تزايد الوعي بأهمية تكامل التخصصات وكفاية السجل الموسوعي.

بالنسبة للغة العربية، فهي أيام مجدها الموسوعي في عصور الأنوار أو الإشراق العربي باستعمال مفاهيم من سياق ثقافي وتاريخي عربي كانت قادرة؛ بل من ضمن النماذج اللغوية والثقافية والحضارية الإنسانية. والمتصفح للمعاجم الأجنبية (المقصود غير العربية) سيجد الكثير من الكلمات والمعاني المرتبطة بسياق وثقافة عربية؛ بل الكثير منها ذات أصل عربي (سكر- كحول- جبر- حبل- شربة- طبيب ...). كما نجد الكثير من الأثار والمعالم والتعبيرات الخطية وغير اللغوية حاضرة أيضا خاصة في الأماكن التي شهدت مرور العرب، أو تفاعلا مع ثقافتهم (الأندلس بؤرة هذا الحضور). لكن تأكيد الحضور العربي في بقاع أخرى سواء من خلال المظهر اللغوي أو العمراني والثقافي والعلمي عموما، لا يلغي حقيقة أننا نعيش جمودا غير مسبوق، والسبب في نظرنا غير مرتبط بقلة الباحثين وغياب مشاريع من أجل ذلك؛ بل الأمر مرتبط بأسباب غير لسانية، أو خارج لسانية، تغذيها بعض الحروب الصغيرة في العلاقة بالسياسة والاقتصاد، ومحاولة يائسة لربط ذلك بوهم فهم صحيح ووحيد للنصوص الدينية، واستمرار نوع من التقديس للغة.

ونحن في هذا السياق، ورغم مرارة الخلاصة، متفائلون بما نقرأ وما نرى من إصدارات تغني المجال اللساني، وتظل عيننا على صدور معجم عربي علمي ومتوافق عليه، لما لذلك من أهمية في دعم حضور العربية في سياقات علمية وأكاديمية بعيدا عن حماسة الخطابات التي لا توازيها إنتاجات بنفس القدر، أو قل عدم تثمين هذه الإنجازات واستثمار ذلك في عمل جماعي يجمع بين العلمية والتعاقد انسجاما مع طبيعة اللغة.

لم يحض الدرس السيميائي على أهميته بالاهتمام اللازم من داخل الحقل اللساني العربي. ورغم التميز الذي حققه باحثون مغاربة مؤسسون أمثال محمد مفتاح ومصطفى الشادلي ومبارك حنون، ونحن في سياق تكريم الرجل، يحق لنا أن نفخر بإسهامه المبكر في تقديم الدرس السيميائي للقارئين المغربي والعربي في زمن كانت السيميائيات لاتزال ترافع لإثبات حقها في الوجود، وكان من الصعب الولوج للسيميائيات التأويلية أنداك، وهذا ما

أكده الباحث الموسوعي في مقدمة كتابه المرجعي "دروس في السيميائيات "[1]، حيث استعمل من بين التوصيفات لهذا العلم "علما من بين العلوم" "العلم كله" "نقدا للعلم وللإيديولوجيات"، معتبرا المنجز في هذا الباب بالوطن العربي غير مناسب لأي اتجاه من الاتجاهات التي بسطها في كتابه، وانتبه بشكل مبكر لأهمية السيميائيات التطبيقية، وليس ذلك بغريب على باحث تنقل بين عدة مباحث وتخصصات، وراكم فيها الكثير من الأبحاث والدراسات والإصدارات.

ورغم ما تراكم بعد ذلك مع جيل جديد من السيميائيات مع أمثال سعيد بنكراد وغيره، ورغم تواصل هذا التراكم مع جيل شاب من الباحثين مع عبد السلام اسماعيلي وغيره، فالدرس السيميائي مازال يحتاج لعمل جماعي ومنتظم لتحتل السيميائيات المكانة اللائقة بعلم ما فتئ يربح مجالات جديدة، ويعتمد مقاربات ملائمة ومتجددة، بما لا يلغي أهمية اللساني، بعيدا عن كل منطق صراع مفتعل في إطار تصور يدمج مبدأ تكامل التخصصات، على أمل استعادة النموذج الموسوعي الذي يفتح آفاقا واعدة لتطوير الدرسين اللساني بجميع مستوياته والسيميائي بجميع تقاليده وممارساته.

المراجع والمصادر

بالعربية

- سعيد بنكراد، الأدب الرقمي، جماليات مستحيلة، موقع الباحث، تاريخ الزيارة 2024/07/20.
- http://saidbengrad.free.fr/ar/numerique.htm
- عبد الكريم الخطيبي، النقد المزدوج، (بيروت، منشورات الجمل)، ترجمة أدونيس وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت 2009.
- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، الطبعة الأولى، بيروت 2013.
- مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1987.
- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، 1990.
- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2022.

[1] مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1987.

بالفرنسية

- Patrick Charaudeau, Une analyse sémiolinguistique du discours. Revue Langages n° 117, Larousse, Paris, mars, 1995.
- Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann, 1972.
- Oswald Ducrot, les lois de discours, langue française, 1979.
- Eco Umberto, Sémiologie des messages visuels. In communication 15, 1970, l'analyse des images.
- Groupe μ, traité du signe visuel, pour une rhétorique de l'image, 1992, Seuil, Paris.
- Odin Roger. La question du public. Approche sémio- pragmatique. In: Réseaux, volume 18, n°99, 2000. Cinéma et réception.53.
- Dominique Wolton In. Arnaud Mercier, La communication politique entre nécessité, instrumentalisation et crises, collection, collection «Les essentiels d'Hermès» CNRS édition, Paris 2017.
- Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, Payot 1971.
- Francis Edeline, entre la lettre et l'image, texte réunis par Juliane Difiori Pondian, Académia-l'Harmattan. S.A., Louvain – La – Neuve, 2020.
- Olivieri Hugo M. Charles Sanders Peirce, Écrits sur le signe, rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle ; Charles Sanders Peirce, Semiotica, a cura di Massimo A. Bonfantini, Letizia Grassi, Roberto Grazia. In: Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, tome 79, n°44, 1981.
- Charles Sanders Peirce, Écrits sur le signe, rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle, seuil 1978.
- Claudia Stancati, La Vie des idées , 16 décembre 2016. ISSN: 2105- 3030 .
- Heidegger Martin, « La question de la technique », in Essais et Conférences, TEL- Gallimard, 1954.
- Marie Anne Paveau, genre de discours et technologie discursive, pratiques: linguistique, littérature, didactique 157- 158/2013.
- https://doi.org/10.4000/pratiques.3533.